علاقة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بحزب الشعب الجزائري (1936 ـ 1954)

د. علي غنابزية

أستاذ محاضر بالمركز الجامعي بالوادي.

الملخص:

يبرز هذا المقال كيف تمكن حزب الشعب من الالتقاء مع الجمعية في خندق واحد، وكان القاسم المشترك، هو العمل الوطني بتبادل النصح المستمر، ومحاولة نبذ الخلاف، وتفويت الفرصة عن المستعمر المتربص بهم، وأذنابه من الخونة, وكان الشعب الجزائري هو مصدر الإلهام للجميع ، وكشفت العلاقات التاريخية بين التشكيلتين عن صور التكامل في التكوين الأولي الذي اكتسبه المناضلون في مدارس الجمعية، والنضال السياسي في هياكل حزب الشعب، والمساهمة في نشاطاته المختلفة، وهي صورة جليلة من التكامل الذي جعل بعض القيادات ترتفع عن حب الذات، ففكرت بعيدا عن الحزبية العصبية، ولم يجدوا أي حرج في الانتماء الروحي للجمعية من جهة، والنضال السياسي تحت مظلة حزب الشعب الجزائري من جهة ثانية. وتبقى تجربة الجمعية مع حزب الشعب في العلاقة السياسية, نموذجا فريدا في العمل الوحدوي الذي يسعى المجتمع الجزائري إلى تجسيده في سلم الرقي الحضاري الذي يصبو إليه.

المقدمة:

عرفت الجزائر حركة شعبية وطنية جادة، دخلت إلى ميدان العمل بداية من الثلاثينيات من القرن الماضي، وقدمت أعمالا جليلة للمجتمع، وأقامت نشاطات تربوية، وسياسية أحيت بها الإيمان الكامن في النفوس الغافلة، وبعثت الروح الوطنية التي ترنو إلى التغيير نحو الأفضل. وظهر العمل لدى التيار الإصلاحي ممثلا في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، والجمعيات التي تدور في محيطها الفكري، ولدى التيار الوطني الاستقلالي الذي خرج إلى الساحة الوطنية في ثوب نجم شمال إفريقيا، وتطور في آخر الثلاثينيات إلى حزب الشعب الجزائري، واستمر النشاط إلى يوم اندلاع الثورة التحريرية.

وكلا التيارين يستقطبان فئة كبيرة من الجماهير وعلى قدم المساواة، وأثناء النشاط المتواصل لهما، حدث اجتماع على الأهداف الأساسية للأمة الجزائرية، ونشأت علاقات ذات بعد تكاملي تارة، أو تضامني ـ تارة أخرى ـ دفعت إليه العاطفة الوطنية، أو المشاركة في أعمال كبيرة مع سائر التشكيلات السياسية، مع مراعاة المصلحة الوطنية التي كانت فوق كل الاعتبارات الشخصية.

ويبرز التساؤل المنطقي عن العلاقات الحقيقية بين الجمعية والحزب ، رغم الاختلاف بينهما في الوسائل والأساليب، فكيف

أثر التلاقي في ساحة النشاطات على تلك العلاقات، وهل كان الدافع إليها وطنيا في كل الأحوال، أم أن الظروف السياسية عجلت بها وطبعتها بشكل مفروض.

ويتضح الأمر عند استعراض النشاطات لكلا التشكيلتين، ويتجلى ذلك في المحطات التي جمعت بينهما للتشاور والتعاون والتنسيق، أو عند الاحتكاك العابر والتنافس الشريف، بسبب الاشتراك في ساحة العمل الوطنية، والاختلاف في وجهات النظر في عملية التغيير، التي تطرح أساليب التحرر من الاستعمار ومواجهة مخططاته، والتصدي لسلوكه نحو المجتمع الجزائري .

1) العلاقة بين جمعية العلماء ونجم شمال إفريقيا:

كان حزب نجم شمال إفريقيا ينشط في فرنسا ويدافع بقوة عن القضية الجزائرية، ويرصد النشاط السياسي للأحزاب والجمعيات في الجزائر، ويتخذ مواقف تاريخية صارمة، ومنها الموقف الذي قام به الحزب عند زيارة وفد المؤتمر الإسلامي الجزائري[1] لباريس عند تقديم ميثاق مطالب الشعب الجزائري للحكومة الفرنسية.[2]

فعند وصول وفد المؤتمر الإسلامي إلى باريس في 18 جويلية 1936 استقبله وفد من قيادي النجم برئاسة مصالي، وتم الاجتماع في "الفندق الكبير" بباريس الذي يقيم فيه أعضاء الوفد، وامتنع رئيس الوفد ابن جلول عن مقابلة أعضاء النجم وجري الحوار بين أعضاء

الوفد وأبرزهم هو الشيخ عبد الحميد بن باديس، واستغرق الحوار مدة عشر ساعات، وحينها عارض أعضاء النجم بعض المطالب التي تتعارض مع هدفهم الأسمى في المطالبة بالاستقلال، ومنها إلحاق الجزائر بفرنسا، والتمثيل الجزائري في البرلمان الفرنسي، وحاول أعضاء النجم إقناع الوفد بعدم عرض مطالبهم على الحكومة الفرنسية، ولكن الشيوعيين كان تأثيرهم أكبر، وساندهم بقية الأعضاء في ذلك، وعند انتهاء اللقاء اتفقوا على الاجتماع مرة أخرى بعد مقابلة الحكومة، وفعلا تم اللقاء في مقهي تلمسان في " المونبرناس" [3] وحضر اللقاء ابن باديس وفرحات عباس وطهرات، وممثلي النجم هم مصالي، وعيماش، وبانون آكلي، وجيلاني، وكان النقاش حادا وعنيفا، واتسم باللوم والعتاب من طرف مصالي لأعضاء الوفد حول قضية الإلحاق الإداري للجزائر بفرنسا، والتي دافع عنها عباس وطهرات، وبينوا أنها الحل الوحيد لنيل الحقوق، بينما أبدى ابن باديس معارضة لرفاقه، واقتنع بخطأ الفكرة السابقة بعد استماعه لرأي مصالي وجماعته كما ذكرت بعض الكتابات. [4]

وعاد الوفد إلى الجزائر، وعقد لقاء شعبيا في الملعب البلدي للجزائر يوم 02 أوت(أغسطس) 1936 لعرض تقريرهم، وحضر مصالي الحاج وألقى خطابا شعبيا في الجزائر لأول مرة ورد على المطالب وبين لماذا عارضها، وكانت خطبته هي بداية شعبيته

وتألق نجمه، فقد تفاعلت الجماهير مع ندائه ورفع على الأكتاف، وطافوا به في شوارع المدينة، واستقبله أنصاره بفرح كبير.[5]

ويومئذ اعتقل الشيخ الطيب العقبي، ووجهت له تهمة تدبير اغتيال المفتي كحول[6] فحدث تعاطف من التيار الوطني ممثلا في نجم شمال إفريقيا، الذي بادر زعماؤه بتجميع العرب المقيمين في باريس يوم 8 أوت 1936 بساحة أوجين، ووزعوا المنشورات للقيام بمظاهرة احتجاج ضد عملية الاعتقال، وإغلاق نادي الترقي بالعاصمة.[7]

وبقي مصالي الحاج مدة ثلاثة أشهر يطوف في أرجاء الجزائر، ويتصل بالناس ويؤسس الفروع للنجم ويوزع المناشير، وكون فرعا أساسيا في مدينة الجزائر كان مثابة النواة المشرفة على كامل الشمال الإفريقي. وعاد إلى باريس في آخر سنة 1936، ولكن الجبهة الشعبية سارعت بحل الحزب في 26 يناير 1937.[8]

2) العلاقة بين جمعية العلماء وحزب الشعب الجزائري:

عرفت جمعية العلماء منذ نشأتها في ماي 1931 بالسعي الحثيث لاستقطاب الجماهير وهيكلتهم في صفوفها، بالمساجد والنوادي والمدارس، وضح الاستعمار من عملهم، وحاول مرارا الوقوف في وجه الجمعية، أو إدخالها في متاهات، أو خلق صراعات مع غيرها من التيارات، أو فسح المجال لمن ينافسها في الميدان[9] ولعل فسح المجال لحزب الشعب وانتشاره بسرعة في العاصمة ونواحيها، قد

شكل منافسة حادة للجمعية بعد مشاركتها الفعالة في المؤتمر الإسلامي، وخصوصا بعد تأسيس مصالي لحزبه الجديد في ربيع 1937[10] وعودته إلى الجزائر في جوان(يونيو) 1937، عندما بدأ نشاطا مكثفا يهدف إلى تقوية حزبه،[11] واشترك أعضاؤه لأول مرة في الانتخابات المحلية بالجزائر التي جرت في جوان 1937، ورغم فشل الحزب في حصد الأصوات إلا أن الانتخابات كانت فرصة للتعريف بالحزب في أوساط الجماهير، كما أنشا الحزب جريدة " الشعب " [12] وسعى مصالي إلى المشاركة في المؤتمر الإسلامي الثاني في 2 جويلية 1937، ولكن أعضاء المؤتمر منعوه من المشاركة، وهذا دفع مصالي إلى انتقاد كل التيارات الإصلاحية، وكان ذلك دافعا قويا لنقل مقر حزبه إلى العاصمة، وانطلق في تنظيم المهرجانات والتجمعات العامة.[13]

ويذكر محمد خير الدين أن الشيخ ابن باديس استدعاه إلى العاصمة في صائفة 1937، وطلب منه السعي لتهدئة الأمور التي حدثت في العاصمة، بعد إغلاق نادي الترقي، ونادي بلكور، وشرشال وباقي النوادي بمنطقة الوسط، مع محاصرة وتقييد نشاط الطيب العقبي، والمعارضة التي يلاقيها من شبيبة(حزب الشعب) والتي بلغت إلى حد التعرض له بالإهانة والشتم في الطريق العام، أو أثناء أداء مهمته في الوعظ والتدريس.

فأقام خير الدين مدة ثلاثة أشهر في العاصمة، وشرع في تدريس الفقه يوميا بنادي الترقي، وتقديم محاضرات أسبوعية في النوادي الأخرى بمساعدة الشيوخ حمزة بوكوشة، وفرحات بن الدراجي، وشرعوا في تكوين(شباب المؤتمر) وقويت شوكتهم، وأصبحوا حراسا على مؤسساتهم وسندا لقياداتهم.[14]

ولكن السلطات الاستعمارية سارعت إلى اعتقال زعماء حزب الشعب(مصالي ، وحسين لحول، ومفدي زكريا وغيرهم) يوم 27 أوت 1937، لأنهم يقودون حملة معادية لفرنسا، وإعادة العمل بحزب منحل، وحكم على مصالي بالسجن سنتين، وكذلك على خمسة آخرين من أتباعه، وأثار هذا الإجراء موجة من الاحتجاج عند جمعية العلماء، التي استنكرت الاعتقال، وعقدت عدة اجتماعات بنادي الترقي تضامنا مع المسجونين.[15]

وعموما فإن جمعية العلماء ربطتها بحزب الشعب عدة علاقات سادها التنسيق والتشاور تارة، والتنافس الداخلي والخارجي تارة أخرى، فضلا عن الدور الذي لعبته الجمعية في تربية أعضاء حزب الشعب، والذين كان لهم الدور الريادي في الحركة الوطنية، وبعدها في الثورة التحريرية، وكان بناؤهم العلمي في صفوف الجمعية، وتكوينهم السياسي في رحاب حزب الشعب الجزائري،

قد شكل تكاملا عند شريحة مهمة من مناضلي الحركة الوطنية

3) التشاور المستمر بين قيادات حزب الشعب وجمعية العلماء:

كانت اللقاءات الودية المبنية على التشاور تتم بين رئيس حزب الشعب مصالي ، وبين رؤساء الجمعية وأعضائها القياديين، ويمكن عرض نماذج لتلك اللقاءات التاريخية التي تمت في عهد ابن باديس أو بعد وفاته:

أ) اللقاء بين الشيخ عبد الحميد بن باديس ومصالي الحاج:

كان أول لقاء بين القائدين في باريس ـ كما سبق الذكر ـ على هامش وفد المؤتمر الإسلامي، وبعد عودة الوفد إلى الجزائر، نظم اللقاء الثاني في العاصمة الجزائر.

وتم اللقاء بعد عودة مصالي إلى الجزائر في 2 أوت 1936 لحضور تجمع المؤتمر الإسلامي في الملعب البلدي بالعاصمة، وكان مصالي يومئذ نازلا في فندق ابن الحفاف الذي نزل فيه ابن باديس وجماعة العلماء، ويقع بالقرب من نادي الترقي بساحة الشهداء، ويذكر خير الدين مجريات اللقاء بقوله: " ... وعلمنا بوجوده(يعني مصالي الحاج) فطلب مني الشيخ ابن باديس أن أذهب إلى مقابلة(مصالي الحاج) وأبلغه تحيته ورغبته في أن يتحدث إليه، وفي صبيحة الغد لبى(مصالي الحاج) دعوة الشيخ ابن باديس وحضرت أنا المقابلة، ومن جملة ما قاله الإمام ابن باديس في هذا اللقاء لمصالي الحاج:

إن فرنسا متربصة بحركاتنا الوطنية كلها، وتود القضاء عليها بأيدينا فتزرع فينا الخلاف والشقاق حتى يأكل بعضنا بعضا، ولذلك فإني أشجعك في الدعوة إلى الحرية والاستقلال، والعمل بأي دستور حزبي تراه ولا اعتراض لنا على ذلك، ولكنني أحذرك من الصدام مع الهيئات والأحزاب السياسية الوطنية. فأبدى قبولا حسنا، وشكر الشيخ على نصحه واهتمامه." [16]

ب) اللقاء بين الشيخ محمد البشير الإبراهيمي ومصالي الحاج:

كان إطلاق سراح مصالي من سجن لمبيز قد تم في 26 أفريل 1943، وأجبر على الإقامة في قصر البخاري، وخلال نقله إلى تلك الإقامة، توقف في سطيف حيث التأم شمل القيادات السياسية، فاجتمع مع فرحات عباس والشيخ محمد البشير الإبراهيمي، وموريس لابون من الحزب الشيوعي، وتحاوروا في واقع الأمة الجزائرية، وناقشوا الظروف السياسية.[17]

كما نظم لقاء آخر عام 1947 بمحل إقامة مصالي في بوزريعة، وقد رخصت السلطات الفرنسية لمصالي بالدخول إلى الجزائر يوم 13أكتوبر 1946. ويذكر الشيخ خير الدين بعض جوانب اللقاء الذي تم بمناسبة انتخاب النواب : " وقد توجهت مع الشيخ البشير الإبراهيمي والشيخ العربي التبسي وتحدثنا معه، ومن جملة ما قاله الشيخ الإبراهيمي في هذه المقابلة، أود أن تتحد

كلمتكم في الانتخابات، وأرجو أن لا تفوتوا الفرصة على النواب المسلمين المخلصين باختلافكم، فإن المعمرين قد وحدوا كلمتهم وقدموا قائمة واحدة بأسماء مرشحيهم وراحوا يبثون دعايتهم متحدين، فيجدر بكم أن تفعلوا مثلهم، ولا تنازعوا فتفشلوا وتضيع جهودكم ويفوز أعداؤكم " وقد أبدى مصالي قبولا حسنا للنصيحة، ولكنه لم يوف بالوعد، فأصدر الإبراهيمي بلاغه إلى الأمة الجزائرية يدعوها إلى الوحدة على القيم و التمسك بالخلق الكريم.

ج) لقاء جماعي بين قيادي التشكيلتين:

وتم اللقاء بين قيادات الجمعية وأعضاء من حزب الشعب، على هامش ميثاق اتحاد أحزاب الشمال الإفريقي في باريس في شهر فيفري 1952 والذي ترأسه البشير الإبراهيمي، ولم يحضر مصالي الحاج لأنه كان في إقامة جبرية في ضواحي باريس، ولم يتجاوزه أعضاء الأحزاب والمنظمات، فنظموا وفدا يضم بعض أعضاء جمعية العلماء وغيرهم، وقابلوا مصالي في إقامته الجبرية، وأعضاء الجمعية هم محمد خير الدين، والشيخ العباس بن الحسين، وبلغوه تحية المؤتمرين، وأخبروه بما اتفقوا عليه في اجتماعهم العام. [18]

4) الأعمال المشتركة بين حزب الشعب وجمعية العلماء:

وجدت جمعية العلماء نفسها في خندق واحد مع حزب الشعب، وعملت معه جنبا إلى جنب في عدة محطات سياسية وتظاهرات

وطنية داخل الوطن وخارجه، ومن أهم الأعمال المنجزة من تيارات الحركة الوطنية:

أ) الأعمال أثناء الحرب العالمية الثانية: فقد اشترك العلماء وأعضاء حزب الشعب في التشاور مع فرحات عباس وغيره ، وانبثق عنه إصدار البيان الجزائري في فيفري 1943 والذي اعتمد في كتابته على الوثائق المهمة للحركة الوطنية، وهي مطالب النخبة، وميثاق المؤتمر الإسلامي، ومبادئ حزب الشعب.(19)

ونظرا لتطور الأحداث خلال فترة الحرب، والتضييق المستمر على أقطاب العلماء وقيادي حزب الشعب، فإن فرحات عباس ـ الذي كان يتمتع ببعض الحرية ـ اتصل بمصالي في معتقله بقصر الشلالة، وبممثلي العلماء، وكون معهم جبهة متحدة عرفت بجبهة أحباب البيان، وأصبح عباس المتحدث باسمها منذ مارس 1944، وكان لها جريدة أسبوعية هي" المساواة " وأصدرت في 15 سبتمبر 1944 وظلت تدافع عن الأهداف المشتركة، ولكن أحداث 8 ماي 1945 عصفت بهذه الجبهة، وشملت المجازر والاعتقالات أعضاءها من مختلف تشكيلاتها وخصوصا الشيخ البشير الإبراهيمي وغيره من أعضاء حزب الشعب.(20)

ب) الأعمال بعد الحرب العالمية الثانية: بعد إصدار قرار العفو في 1946، كانت الساحة السياسية الجزائرية تحتدم بالنشاط

السياسي، والتام شملها في أعمال مشتركة في الداخل والخارج، ومنها:

ـ الجبهة الجزائرية للدفاع عن الحرية واحترامها: فقد نشرت جريدة المنار في آخر شهر جوان 1951 خبرا عن إنشاء لجنة تأسيسية لجبهة جزائرية للدفاع عن الحرية واحترامها، وكان البلاغ يحتوي على أعضاء التأسيس ومنهم العلماء وحركة الانتصار ، واتحاد البيان، وغيرهم، ووقع عن العلماء الشيخ العربي التبسي ومحمد خير الدين، وعن حزب الشعب، احمد مزغنة ومصطفى فروخي[21] وتوج ذلك الإعلان بالاجتماع التأسيسي في 5 أوت 1951 في سينما دنيا زاد بالعاصمة، ودعا المجتمعون إلى رفع التدابير الخاصة عن رئيس حزب الشعب مصالي الحاج، والذي بعث بدوره رسالة خاصة إلى الجبهة، ونشرتها المنار في عددها السابع، وهو يشد على أزر الجميع، ويعلق آمالا كبيرة عليها.[22]

ـ الالتقاء في نشاط المغتربين الجزائريين بفرسا: وهو نشاط تم بمناسبة انعقاد الجمعية العامة للأمم المتحدة، فعزمت الحركات الثلاث(جمعية العلماء، وحزب البيان، وحزب الشعب) على تنظيم لقاء جامع للوفود العربية الإسلامية يوم 8 ديسمبر 1951 في ملعب سباق الدراجات الشتوية بباريس، ولكن ألغي اللقاء في آخر الأمر من طرف السلطات الفرنسية، لأن النشاط ذو طابع سياسي يقوم به حزب سياسي هو حركة الانتصار، وقد استنكرت اللجنة المنظمة

ذلك الإجراء التعسفي، وأصدرت احتجاجا شديد اللهجة بإمضاء أعضاء من مختلف التشكيلات ومنهم أعضاء من جمعية العلماء وحزب الشعب[23] وغيرهم[24]

5) التنافس بين حزب الشعب وجمعية العلماء:

رغم السبق التنظيمي للجمعية في الساحة الجزائرية، وابتعادها عن المنافسة الحزبية الانتخابية التي تدفع بأصحابها إلى البحث عن المواقع، والسعي لكسب المقاعد في المجالس المختلفة، إلا أن الساحة كانت مهيأة للجمعية منذ الثلاثينيات في المجالات التربوية والعلمية، وكان حزب الشعب يعاني أعضاؤه من السجن والتضييق والإبعاد، ولكنه أدرك ضرورة اقتحام تلك المواقع بعد الحرب العالمية الثانية، وحينئذ بدا في تأسيس المنظمات الجماهيرية، واحتواء المنظمات القائمة، وأحدث سلوكه تنافسا مع جمعية العلماء التي كانت قريبة من تلك التنظيمات والمواقع:

أ) سيطرة حزب الشعب على جمعية الطلبة الجزائريين الزيتونيين بتونس:

أسس الشيخ البشير الإبراهيمي نائب رئيس جمعية العلماء في عام 1934 الهيئة الإدارية لجمعية الطلبة الجزائريين الزيتونيين في تونس، وكانت الغاية من تأسيسها هي تكوين العلاقة الودية بين كل الطلبة الجزائريين بجامع الزيتونة وإيجاد التآلف بينهم، وإغاثة

المحتاجين منهم ، وهذا ما ورد في الفصل الثالث من قانونها الأساسي، وظلت المنظمة خلال الثلاثينيات تعمل بحرية في الساحة التونسية، ولكن أصابها الشلل في فترة الحرب كباقي التنظيمات، وقامت بتجديد مكتبها بعد الحرب ، وحينئذ توسع نشاطها، وازداد عدد الطلبة من التيارين الإصلاحي والوطني[25] وكانت رئاستها في سنة 1946 للشيخ عبد الرحمان شيبان من جمعية العلماء، وعند تجديد مكتبها السنوي ـ كما ينص قانونها الأساسي ـ ظهرت قائمتان للترشيح، كتلة جمعية العلماء، وكتلة حركة الانتصار، وكانت الحملة الانتخابية أكثر حدة من سابقاتها، ورأت جمعية العلماء أن الثمرة ستؤخذ منها عنوة، فأرسلت وفدا من أعضائه محمد خير الدين، ولحق به الشيخ العربي التبسي، وأقام الوفد اجتماعا بمسجد جامع القصر بباب منارة، ولكن شباب حزب الشعب صرخوا في وجه الشيخ العربي التبسي قائلين " لا خيانة في المساجد " وكثرت الفوضى، وانفض الجمع منعا للفتنة، ثم أرسلت الجمعية وفدا ثانيا تحت رئاسة الشيخ العباس بن الحسين، وأقيم اجتماع بنهج الوصفان بدار الطلبة الجديدة، وكان الاجتماع ساخنا، ووقعت فيه المشادات والضرب والشتم وخلف جراحا في صفوف الطلبة، وتطور إلى صراع دام عدة أيام، وحسم الخلاف بالعملية الانتخابية تحت إشراف قادة الحزب الدستوري، فقد عينت لجنة من شيوخ جامع الزيتونة، وجرت

العملية الانتخابية بدار الطلبة الجزائريين بتربة الباي، وكانت النتيجة هي فوز حزب الشعب في شهر نوفمبر 1947، وصارت الجمعية تحت رئاسة محمد مرازقة، والكاتب العام هم عمار النجار، وعبد الحميد مهري الذي عين مسئول الاتصال بالحزب[26]

ب) سيطرة حزب الشعب على منظمة الكشافة الإسلامية الجزائرية:

بدأت النواة الأولى للكشافة الجزائرية تظهر في شكل أفواج، منذ بداية الثلاثينيات عند انسلاخ مؤسسيها عن المنظمات الكشفية الفرنسية، وتوج ذلك بتأسيس محمد بوراس في سنة 1935 جامعة الكشافة الإسلامية بالجزائر، ثم تطور شأنها إلى الكشافة الإسلامية الجزائرية عام 1937، وكان أول تجمع كشفي لها في جويلية 1939، وقد ضم الأفواج الكشفية في أنحاء الوطن، وكان احتفالا بهيجا تحت الرئاسة الشرفية للشيخ عبد الحميد بن باديس في قاعة الماجستيك بالعاصمة، وتحت شعار(الإسلام ديننا، والعربية لغتنا، والجزائر وطننا). وهكذا نشأت الكشافة وترعرعت في ظل الحركة الإصلاحية، وكان قادتها ومسيروها من تلاميذ مدارسها ونواديها وجمعياتها المحلية. ولكن ظروف الحرب العالمية الثانية عصفت بالكشافة، فاغتيل رئيسها(محمد بوراس) وعطلت نواديها ودام ذلك مدة الحرب

الأولى، ولكن نزول الحلفاء أعاد لها النشاط، ونظمت أكبر تجمع في تلمسان في جويلية 1944 وحضرته شخصيات كبيرة؛ فرنسية، ووطنية جزائرية، ومنهم الشيخ البشير الإبراهيمي، وفرحات عباس. وهكذا ظهر دور الكشافة وخصوصا في أحداث 8 ماي 1945، والتي سقط أول شهيد من فتيانها، وكانت خسارتها كبيرة في تلك الأيام. ولكن بعد الحرب أصابها الانقسام، وتدخلت فيها السياسة الحزبية[27] وحينئذ استطاع حزب الشعب أن يستحوذ عليها عند اجتماع الجمعية العامة للكشافة بسيدي فرج في سبتمبر 1947[28] وانتخبت قيادة جديدة من أعضاء حزب الشعب[29] أو بعض الأفراد ممن يدورون في فلكه [30]

ج) اقتحام حزب الشعب للمجالات الثقافية والتربوية مثل الجمعية:

كان النشاط الثقافي التربوي من مهام جمعية العلماء منذ نشأتها، ويمثل جزءا من أهدافها، واستطاعت أن تحقق نجاحا باهرا، واستقطبت به مختلف الشرائح، وولجت قطاع الشباب بقوة، وعملت على بناء العقول الناشئة التي كانت رصيد الحركة الوطنية في المستقبل، وأخيرا أدرك حزب الشعب أهمية تلك الوسائل، وعرف دور تلك الأساليب، فشرع سنة 1947 في منافسة الجمعية، وبدأ يؤسس الجمعيات الرياضية، والمراكز الثقافية على غرار الجمعية، وخصوصا النوادي والمدارس[31]

وتمكن من تأسيس عدد من المدارس الابتدائية بالعاصمة ونواحيها، وبعض المدن الأخرى، كما أرسل عددا من الطلاب على نفقته الخاصة للدراسة في جامع الزيتونة بتونس، وجامع القرويين بالمغرب، وبعض الجامعات العربية بالمشرق العربي[32]

د) الالتقاء بالوفود العربية الإسلامية في مآدب خاصة:

عند انعقاد الاجتماع العام لهيئة الأمم في باريس 1951 -1952، اغتنمت الفرصة من الحركات الوطنية الجزائرية، وتم الاجتماع مع تلك الوفود كما يلي:

ـ **مأدبة الزعيم مصالي الحاج:** التي أقامها على شرف الوفود العربية الإسلامية في ضاحية باريس يوم السبت 2 ديسمبر 1951، وحضر معه أحمد مزغنة رئيس حركة الانتصار، وكاتبها العام الحسين لحول، واستقبلوا عبد الرحمن عزام باشا الأمين العام لجامعة الدول العربية وغيره من الشخصيات العربية الإسلامية[33] وألقى عليهم مصالي خطابا تاريخيا هاما[34]

ـ **مأدبة الشيخ البشير الإبراهيمي:** كما أقامت جمعية العلماء مأدبة عشاء فاخرة على شرف الوفد السابق، مساء يوم 29 جانفي 1952 في نزل العالمين في شارع الأوبرا بباريس، تحت رئاسة الشيخ الإبراهيمي ورئيس الشعبة بباريس الشيخ عبد الرحمن اليعلاوي، وحضر بعض أعضاء الأحزاب ومنهم احمد مزغنة رئيس حركة

الانتصار، وجلسوا إلى الوفود العربية، وأبرز الشخصيات عزام باشا، وخطب البشير الإبراهيمي خطابا تاريخيا، وتحدثت البصائر في عددها 183(18 فيفري 1952) عما جرى في هذا الحدث[35]

6) الدور التربوي لجمعية العلماء في إعداد شباب الحركة الوطنية:

سعت جمعية العلماء منذ تأسيسها بإنشاء النوادي الثقافية بنسبة نادي في كل مدينة تقريبا، وأقامت إلى جانبها المدارس والمساجد، وكلها تستقطب الشرائح المختلفة للجزائريين، وخصوصا فئة الشباب لتربيتهم تربية خلقية، ووطنية، وتعمل على ترسيخ القيم الدينية في نفوسهم وتعمل على ربطهم بالتنظيمات التابعة لها، كالكشافة الإسلامية، والجمعيات الثقافية والرياضية، لحمايتهم من الانحراف، وتربيتهم تربية عربية إسلامية أصيلة، وإعدادهم لمستقبل الجزائر.[36]

ونجد كثيرا من أعضاء حزب الشعب، وفي مختلف أنحاء القطر، كانت بدايتهم التربوية في مؤسسات جمعية العلماء أو الهيئات القريبة منها:

فنجد مثلا المدرسة الإصلاحية بوادي سوف خلال سنتي 1937 -1938، قد خرجت طائفة من الشباب الذين أسسوا النواة الأولى للنضال في صفوف حزب الشعب بالجهة، ومنهم عبد القادر العمودي، وأحمد ميلودي، وونيسي الهاشمي، وقدادرة الشافعي[37] وميهي بلحاج[38]

ونجد محمد العربي بن مهيدي الذي تلقى دراسته بالعربية في قسنطينة ضمن جماعة من أبناء جمعية(كشافة الرجاء) وكان أستاذه ومربيه فيها الشيخ علي مرحوم، ثم في مدرسة التربية والتعليم بعد تأسيسها سنة 1943 وأستاذه فيها الشيخ محمد العابد الجلالي. وانضم بن مهيدي مبكرا إلى صفوف حزب الشعب[39] وكذلك بالنسبة للشيخ الشاذلي المكي الذي تعلم في تبسة مدرسة الشيخ العربي التبسي في العشرينيات، ودرس بعدها في الزيتونة بتونس، وترأس جمعية الطلبة الزيتونيين منذ نشأتها 1934 وإلى يوم حلها عشية الحرب العالمية الثانية، ومع ذلك نجده مناضلا في صفوف حزب الشعب وممثلا له في القاهرة ما بين 1945 -1952[40]

وقد برزت ازدواجية النضال عند طائفة من المتعلمين، والمعلمين في صفوف جمعية العلماء ومدارسها، أو ضمن حزب الشعب، ومنهم الشيخ عبد القادر الياجوري الذي كان عضوا قياديا في مجلس الجمعية، وأستاذا بمعهد ابن باديس في قسنطينة، وله صلة بمبادئ حزب الشعب، وكان يؤمن بخطه النضالي الذي يعمل على تحرير الجزائر بقوة السلاح، ويذكر أن الشيخ ابن باديس نصحهم في أثناء الحرب العالمية " بإتباع حزب مصالي إذا انهزمت فرنسا ووقع له مكروه" [41] والشيخ محمد المنور الذي عاد من الزيتونة في 1950 ليدرس في مدرسة تابعة لحزب الشعب، لأنه متعاطف سياسيا مع

الحزب، ولكنه مرتبط بالجمعية التي وضع نفسه تحت تصرفها في 1954، وعلم في مدرسة التهذيب التابعة لها في البليدة، ويبدو واضحا أنه ليس هناك اختلاف في الهدف بين التشكيلتين، ولكنه اختلاف في الوسائل التي تؤدي إلى نفس الهدف[42] وهذا جعل بعض الأفراد رغم تعمقهم في العمل في صفوف الجمعية والمشاركة في هيكلتها، يبادرون بالنشاط الموازي في الخط الوطني لحزب الشعب، ونلمس ذلك في سلوك عميروش آيت حمودة، وعبد الحفيظ آمقران، وابن عمه يوسف، وكانوا يعملون في خط الجمعية وشعبتها المركزية بباريس، وسبب لهم النشاط السياسي إزعاجا مع ممثل الجمعية عبد الرحمن يعلاوي، وبعد عودتهم إلى الجزائر في الخمسينيات واصلوا نضالهم في حزب الشعب دون نسيان فضل جمعية العلماء عليهم، وبقاء الصلة معها[43] وكل هذا يشكل التكامل في العمل الوطني، ويكشف أن التيارات الوطنية الأصيلة تصب في نهر واحد كان نبعه مصدر النضال الثوري في 1 نوفمبر 1954.

الخاتمة:

إن العمل السياسي لفصائل الحركة الوطنية الجزائرية في مواجهة الاستعمار الفرنسي، اتسمت بالنشاط الكثيف، والعمل المتواصل، والمشاريع المشتركة، وخصوصا بين التيارات القوية، التي كسبت الشعب الجزائري، وأهمها جمعية العلماء، وحزب الشعب الجزائري، وقد جمعت بينهما علاقات مختلفة الأوجه، ويمكن رصد بعض نتائجها:

❖ تمكن حزب الشعب من الالتقاء مع الجمعية في خندق واحد، وكان القاسم المشترك، هو العمل الوطني، والذي تبلور في إصدار بيان فيفري 1943، وتشكيل جبهة أحباب البيان 1944، وجبهة الدفاع عن الحرية واحترامها 1951، وتنظيم مظاهرات 8 ماي 1945، وتبليغ الصوت الوطني للرأي العام العالمي والعربي الإسلامي بباريس 1951.

❖ تمكنت الجمعية والحزب من تبادل النصح المستمر، ومحاولة نبذ الخلاف، وتفويت الفرصة عن المستعمر المتربص بهم، وأذنابه من الحاقدين على الوطن، والتحذير الدائم من الصدام بين الأخوة الأشقاء في الوطن الواحد، ونتج عن هذه الروح الوطنية، الاجتماع في طاولات الحوار، ومجالس التشاور التي جمعت القيادات في عدة مناسبات ما بين 1936 -1952.

❖ أظهرت العلاقات بين التيارين الوطنيين، أن الشعب الجزائري هو مصدر الإلهام لكل التيارات الوطنية التي تسعى لكسب وده، وبث الوعي بين أبنائه، وتجنيدهم في ركب الحركات السياسية والجمعيات والنوادي، وتعليمهم في المدارس والمعاهد، والهدف النهائي هو الوصول بالشعب إلى درجة من الوعي، وجعله مؤمنا بالعمل للحرية والاستقلال، وأحدث ذلك النشاط تنافسا شريفا بين الجمعية وحزب الشعب وخصوصا بعد الحرب العالمية الثانية، ولم يخل من بعض السلبيات التي تعبر عن الطبيعة البشرية المجبولة على ذلك.

❖ كشفت العلاقات التاريخية بين أعضاء جمعية العلماء وحزب الشعب عن صور التكامل في التكوين الأولي الذي اكتسبه المناضلون في مدارس الجمعية، والنضال السياسي في هياكل حزب الشعب، والمساهمة في نشاطاته المختلفة، وهي صورة جليلة من التكامل الذي جعل بعض القيادات ترتفع عن حب الذات، ففكرت بعيدا عن الحزبية العصبية، ولم يجدوا أي حرج في الانتماء الروحي للجمعية من جهة، والنضال السياسي تحت مظلة حزب الشعب الجزائري من جهة ثانية.

وعموما فإن العلاقات بين التيارين المختلفين، كان يجمعها هدف مشترك، ويوحد أعمالها ونشاطاتها عدو واحد يتربص بالجميع، مما جعل الحمية عامل وحدة لهم، مهما تعارضت مصالحهم

الحزبية، وتقاربت وجهات نظرهم في الأحداث الخطيرة. وتبقى تجربة الجمعية مع حزب الشعب في العلاقة السياسية مجالا للبحث العميق الذي يستند إلى وثائق أخرى تكشف عن خفايا الموضوع، وتثمن الجهود الوطنية للمناضلين في الحركة الوطنية الأصيلة.

الهوامش

(1) انعقد المؤتمر الإسلامي الجزائري يوم الأحد 7 جوان(حزيران) 1936 في قاعة سينما الماجستيك بالجزائر العاصمة برئاسة صالح بن جلول ، وحضرته الوفود الرئيسية التي تمثل جمعية العلماء، والمنتخبين الجزائريين، والشيوعيين، وقد اعد المؤتمر عدة مطالب منها إلحاق الجزائر بفرنسا مع المحافظة عن الشخصية الإسلامية، وفصل الدين عن الدولة، وإعطاء الحق لكل ناخب بترشيح نفسه وغيرها من المطالب.

أنظر: أحمد الخطيب ـ **حزب الشعب الجزائري** ـ المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ج1، ص 195.

(2) تكون وفد المؤتمر برئاسة ابن جلول، وضم 16 عضوا، ومنهم أربعة من أعضاء جمعية العلماء، وهم الشيخ عبد الحميد بن باديس، والشيخ البشير الإبراهيمي، والطيب العقبي، ومحمد الأمين العمودي. وقدم الوفد مطالبه لرئيس الحكومة الفرنسية ليون - بلوم بتاريخ 23 جويلية 1936. أنظر: أحمد الخطيب، المرجع السابق، ص 195 -197. محمد خير الدين ـ **مذكرات** ـ المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، (ب ت)، ج1، ص 335.

أبو القاسم سعد الله ـ **الحركة الوطنية الجزائرية** ـ دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط4، 1992،ج3، ص 160 -161.

(3) أحمد الخطيب، المرجع السابق، ص 196 -198.

(4) أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 139. بنيامين سطورا ـ **مصالي الحاج رائد الوطنية الجزائرية** ـ تر صادق عماري، مصطفى ماضي، دار القصبة للنشر، الجزائر، 1999، ص 139 -140.

(5) أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 139 -142.

(6) **الشيخ كحول:** هو مفتي الجزائر الشيخ محمود بن الحاج كحول بن دالي عمر، من علماء الجزائر، ولم تكن له علاقة بجمعية العلماء لأنه كان موظفا رسميا لدى الحكومة، وسبق له تدريس العربية والشريعة الإسلامية في مدرسة قسنطينة الحكومية، ثم نقل إلى العاصمة وعمل محررا في قسم الترجمة في الولاية العامة، ثم عين إماما في

الجامع الكبير، ونائبا للمفتي المالكي. وقيل إنه كان يعارض بعض الموظفين السامين في إدارة الشؤون الأهلية، بخصوص احتجازهم لأموال بعض الأوقاف الإسلامية، فتآمروا عليه، وعزموا على التخلص منه بأي شكل، فوجدوا أن جمعية العلماء هي أحد الخصوم للإدارة، وكانت الفرصة سانحة لإلصاق التهمة بها، لأن الشيخ كحول وجه برقية احتجاج ضد وفد المؤتمر الإسلامي إلى الحكومة في يوم 19يونيو(جوان) 1936، وتم الاغتيال من طرف شخص يدعى عكاشة في صبيحة يوم الأحد 2 أوت 1936 في وقت انعقاد المؤتمر، وادعى عكاشة أن الذي حرضه هو الشيخ الطيب العقبي الرجل الثاني في جمعية العلماء، ومروض مدينة الجزائر كما يسمونه، فاعتقلته ومعه احد أنصار الجمعية عباس التركي، والهدف هو غلق نادي الترقي وشل حركة جمعية العلماء وتشويه سمعتها، وزعزعة حركة المؤتمر الإسلامي. أنظر: أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 54 -55.

عبد الكريم بو الصفصاف ـ **جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في تطور الحركة الوطنية الجزائرية 1931 -1945** ـ دار البعث،ط1، قسنطينة، الجزائر، 1981، ص 283.

(7) عبد الكريم بو الصفصاف ، المرجع السابق، ص 228.

(8) أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص ص 139 -142.

(9) يقول محمد خير الدين : (فالسياسة في نظر علمائنا هي التفكير والعمل والتضحية والتفاني في الصالح العام، وليست التشدق في الكلام، ولا التظاهر بالمهام أمام الرأي العام، وقد أكد هذا ابن باديس في خطبه ومواقفه..) أنظر: محمد خير الدين، المرجع السابق، ص 346.

(10) قدم مصالي أوراقه للسلطات الفرنسية في 11 مارس 1937 يخبرهم بتأسيس حزب سياسي يدعى حزب الشعب الجزائري. أنظر الخطيب، المرجع السابق، ص 219.

(11) يرى محمد خير الدين أن فسح المجال لحزب الشعب كان عن قصد من فرنسا فيقول: (... وكأن فرنسا أرادت بالسماح لمصالي أن ينظم صفوف حزبه وينافس الأحزاب الأخرى والجمعيات لتتوقف الجهود وتضرب فرنسا حركات النهضة بعضها بالبعض الآخر) أنظر المذكرات، المرجع السابق، ص 301.

(12) **الشعب:** أول جريدة لحزب الشعب باللغة العربية في الجزائر، وكانت جريدة نصف شهرية، وترأس تحريرها مفدي زكريا أولا ثم خلفه عليها محمد قنانش، وللحزب أيضا جريدة الأمة، وكانت تصدر بالفرنسية في باريس. أنظر: أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 143 -144.

(13) أنظر: بنيامين سطورا، المرجع السابق، ص 169.

(14) أنظر مذكرات خير الدين، المرجع السابق، ص ص 340 -347.

(15) أنظر: أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص ص 144 -145، عبد الكريم بو الصفصاف ، المرجع السابق، ص 228.

(16) أنظر مذكرات خير الدين، المرجع السابق، ص 301.

(17) أنظر: بنيامين سطورا، المرجع السابق، ص 186.

(18) أنظر مذكرات خير الدين، المرجع السابق، ص ص 302 -305

(19) أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 208.

(20) نفسه، ص ص 222 -240.

(21) المنار، العدد 6، الجزائر، 30 يوليو 1951 ، ص 01.

(22) المنار، العدد 7، الجزائر، 15 أوت 1951 ، ص ص 1 -4.

(23) البيان كان من إمضاء السيد حمر العين، عضو لجنة شمال إفريقيا، أمير محمد عضو وفد الكشافة الإسلامية، أحمد بومنجل عن الاتحاد الديمقراطي للبيان، احمد مزغنة رئيس حركة الانتصار، عبد الرحمان اليعلاوي مندوب جمعية العلماء بفرنسا.

(24) عبد الرحمن العقون ـ **الكفاح القومي والسياسي من خلال مذكرات معاصر** ـ المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ج3، ص ص 215 -216.

(25) عبد الكريم بو الصفصاف ، المرجع السابق، ص ص 348 -350.

(26) أنظر: محمد العربي الزبيري ـ **تاريخ الجزائر المعاصر** ـ منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1999، ج1، ص 173. عبد الرحمن العقون، المرجع السابق، ص ص 358 -359.

(27) محمد الصالح رمضان ـ **تاريخ الكشافة الإسلامية الجزائرية** ـ الثقافة، العدد 70، يوليو ـ أغسطس 1982، ص ص 60 -66.

(28) محمد العربي الزبيري، المرجع السابق، ص 173.

(29) كان المكتب المنتخب من الجمعية العامة، يضم محمد بوزوزو رئيسا، وعمر لاغا نائبا، ومحفوظ قداش أمينا عاما، وتولى منصب أمين المال حمدان بن عبد الوهاب.

(30) Mahfoud Kaddache – **Histoire du Nationalisme Algerien 1919-1951** – S.N.E.D. Alger,1980,T2, p 809.

(31) محمد العربي الزبيري، المرجع السابق، ص 173.

(32) تركي رابح ـ **التعليم القومي والشخصية الوطنية** ـ الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1975، ص 250.

(33) عبد الرحمن العقون، المرجع السابق، ص 214 -217.

(34) أنظر خطاب مصالي الحاج في جريدة المنار، العدد 11، 8 ديسمبر 1951، ص 3.

(35) عبد الرحمن العقون، المرجع السابق، ص ص 220 -224.

(36) تركي رابح، المرجع السابق، ص ص 229 -230.

(37) لقاء مع المجاهد عبد القادر العمودي بدار الثقافة بالوادي يوم 6/9/ 1997.

(38) علي بوصبيع ـ **محمد بلحاج الرجل الذي مكن ثورة التحرير من أول دفعة سلاح** ـ جريدة الشعب، العدد 13919، الخميس 23 مارس 2006، ص 10.

(39) محمد الصالح الصديق ـ **مع الخالدين** ـ دار البعث، قسنطينة، الجزائر، 1988، ص 88 -89.

(40) محمد عباس ـ **نداء الحق، شهادات تاريخية** ـ دار هومة، الجزائر، 2001، ص 9.

(41) أبو القاسم سعد الله ـ **مجاهد من نوع آخر** ـ الثقافة، العدد 106/105، نوفمبر– فيفري 1995، الجزائر، ص ص 72 -73.

(42) محمد الحسن فضلاء ـ **من أعلام الإصلاح في الجزائر** ـ دار هومة، الجزائر، 2002، ج 3، ص ص 161 -162.

(43) عبد الحفيظ أمقران ـ **مذكرات في مسيرة النضال والجهاد** ـ دار الأمة، ط 1، الجزائر، 1997، ص 29 -33.